

## صوومون صموود المرأة الجزائرية بالولاية الثالثة أثناء الثورة التحريرية من خلال مذكرات جودي أتومي

د.يسمينتة سعودي

جامعة الجزائر2

الملخص:

لعبت المرأة في الولاية الثالثة دورا مكتملا للرجل، مما جعل الضابط جودي أتومي ان يخصصها -في كتابه حول عميروش في جزئه الاول و الثاني-، ببعض الشهادات عن ملاحظتها، فكانت المجاهدة في الجبل، تتلقى الاحترام من أخيها الرجل، أو كانت في البيت حيث تجمع على عدة نشاطات منها " المسبلة، رئيسة نظام.. فكانت بذلك محل مساومة من قبل الجنود الفرنسيين من استفزاز لها أو المس بكرامتها وشرفها، و أمثال ذلك البطلة " بار فاطمة" التي أردت جنود فرنسا قتلى لإنقاذ شرف بنات قريتها.

كما تحملت المرأة عبئ الثورة خاصة بعد العمليات العسكرية التي شنتها القوات العسكرية بالولاية الثالثة، فكانت ضحية القنبلة.. إلا أن ذلك لم يحبط من عزائمها في تقديم يد العون و التمريض للمجاهدين، كما ساهمت بخناجرها كانت زغرودة او شعرا في رفع همم المجاهدين في الجبال.

Résumé :

Daurant la guerre de libération, la femme avait joué un rôle très important et surtout complémentaire a celui de l'homme dans la wilaya 3 historique, ce qui lui valut une reconnaissance et une consécration de la part de l'officier Djoudi Atoumi dans son ouvre sur le colonel Amirouche, ou il a relaté ces plus importante légendes.

Elle était « moudjahida » combattante dans la montagne a côté des hommes qui la respecte, ou à la maison, ou elle assume en plus les taches familiale, elle a complet majestueusement son rôle comme mousabila.

En outre, elle n'a pas été épargné des harcèlements des soldats français dans sa dignité et son honneur ; et l'exemple le plus répondu dans la région celui de la surnommé « Bar Fatima » qui a exécuté plusieurs soldats pour sauver l'honneur des filles de son village.

La femme a pu résister ou violente opérations militaire mené par les soldats ; mais tout ça n'a pas diminué de ça détermination et son abnégation d'apporté son aide et son soutien à travers des Youyou et de la poésie dans l'objectif d'encouragé et de distraire les moudjahidines.

المقال:لقد تعددت الكتابات حول الثورة الجزائرية 1954-1962، والتي تطرقت لجل الأحداث التي واكبت الفترة من ساسة، إعلام، اقتصاد، جهاد.... وحتى اعلام، إلا أن الكتابات المستفيضة حول شخصيات التي صنعت بطولات وأمجاد الجزائر قلما وجدتها وخاصة إن كانت من أصحاب الذين عايشوا الحدث، فكان الضابط جودي أتومي الضابط في جيش التحرير الوطني (1954-1962) أحد هؤلاء الذي صنع شهادة للتاريخ حول شخصية العقيد عميروش، خاصة و أن الرجل التحق بالثورة عامه 1956، أين عين في مركز قيادة الولاية الثالثة، لينوب بعدها مسؤوليات في جيش وجبهة التحرير وفي 1961 رقى إلى مرتبة ضابط من قبل العقيد سي محند ولحاج، وعين في منطقة الصومام التي كانت قد اجتاحتها عملية "المنظار" والشيء الذي يجعل شهادته على شخصية العقيد عميروش، والأحداث التي اطلعنا عليها من خلالها تحمل نوعا من المصادقية، خاصة إذا تعلق الأمر بدور المرأة في هذه الولاية.

قبل التطرق لمذكرات أجودي وما حملته عن المرأة في الولاية الثالثة، علينا أن نستعرض دورها لكي نفهم لماذا أقر أجودي على أن المرأة تحملت العبء الثقيل فيها-الثورة-.

فلم تقتصر الثورة التحريرية 1954-1962 على الرجال فقط بل كانت المرأة الجزائرية طرفا في معادلتها، ووقفت إلى جانب أخيها الرجل في الدفاع عن البلاد والعباد، وعملت على الاحتفاظ بشرفها أينما حلت وارتحلت وتعددت مناصبها من مسؤولة إلى مكافحة وإلى مسبلة وفدائية<sup>1</sup>. وكثيرا ما اقتزنت المرأة بالشرف والذي صانه الرجل في صفوف جيش التحرير بالولاية الثالثة من خلال قادتها أمثال العقيد عميروش.

لكن الأكد أن دور المرأة في منطقة القبائل كان جد هام، إذ تحملت عبئ الثورة من بطش واضطهاد وتعذيب، وفي هذا الصدد يقول كافي في مذكراته: "إن المرأة الجزائرية شاركت في الثورة منذ انطلاقها... تحملت كثير من الاضطهاد والإهانة أيام الاستعمار"<sup>1</sup> وعاشت الفقر والمعاناة الذي جسده في أشعارها الثورية<sup>2</sup>.

كما حاولت المرأة في الولاية الثالثة بتوفير الراحة والأمن للثوار العائدين من ميدان المعارك، فيقوم رئيس النظام الذي يعين من قبل المسؤول السياسي، بتكليف عدد من العائلات بمهمة إعداد الطعام للمجاهدين، وهذا تبعا لعدد الجنود. فلا تنتظر العائلات مقابلا عن أجرها، إلا أنه يحق لها في مشاركتهم حصة من الطعام على قدم المساواة مع الجنود<sup>3</sup>.

فتقوم العائلات بتجهيز البيت للمبيت، وبيت آخر يحضر فيه كل أنواع الأطعمة، خاصة منها خبز الدار (الكسرة) و التين والكسكس، وفي هذا تقول تكليت تودرت<sup>4</sup>: "كان زوجي أو منيش رئيس النظام، كان بيتي بيت روفيج (الإطعام)، ولما يخبرني بوصول الإخوة المجاهدين سأعمل مع مجموعة من نساء العائلة والقرية بتحضير الطعام، فإن جاءوا للمبيت، فإننا طوال الليل نحضر في الأطعمة من كسكسي، وكسرة (خبز) ومطلوع، والإسفنج والقهوة، وإن مروا نهارا فأنا والنساء نحضر كل مستلزمات الأكل في الليل إلى الصباح وعند وصولهم يجدون كل شيء مهيا". كما تضيف أن عملهن لا يقف عند تحضير الأطعمة بل يقمن بغسل لباس المجاهدين

وخيطة الملابس المتقطعة أو خياطة ملابس جدد تضيف قائلة: "رمى لي زوجي معطف مجاهد ممزق، لخياطتها في الفور قبل مغادرتهم".

كما عملت على جمع الحطب من الغابة لأجل إعداد الأكل واستعملت جمع الزيتون لتقدم الطعام للمجاهدين<sup>5</sup>، وعملت على توفير الأمن عن طريق المسبلات التي يوفرن كل المعلومات اللازمة لجيش التحرير بتحركات العدو. فلم يقتصر دور المرأة في البيت فقط، بل تعداه خارجا في ما حملته المسبلة من مهام، كعملية شراء المؤن التي سببتها ظروف الحرب كغياب الزوج أو الابن الموقوف أو المستشهد.

وعن جميلة عمران أن سيدة تدعى العكري قاطنة بدلس، بأنها في عام 1957 كان لها ابنا، و بأمر من جبهة التحرير الوطني قام بفتح مخزن لجمع المؤونة وبعد إلقاء القبض عليه، حلت الأم العكري محله تساعدها في ذلك ابنتها إذ تقول: "يقصدوننا مسبلين حاملين وثيقة محررة من مسؤول الجيش التحرير الوطني يحدد فيها أنواع المؤونة وغاليا ما تكون الزيت والدقيق ويضاف إليها أحيانا السمك الذي نشتره من دلس"<sup>6</sup>.

إن الدعم الذي تقدمه المسبلات لجيش التحرير الوطني عن طريق التموين جعل من مسؤول جيش الفرنسي إعادة حساباته بمحاولة تجسيد خططه بقطع الصلة بين الشعب والثورة.

فأصدر أمرية وزارية مؤرخة بيوم 1 جويلية 1955 جاء فيها: "القائمون على التموين، المتورطون، وجميع أفراد العصابات الذين لم يسقطوا تحت الرصاص، والذين تم إلقاء القبض عليهم، ينبغي تسليمهم للسلطة الإدارية التي ستحدد مصيرهم"<sup>7</sup>.

فلهذا حرصت العائلات بمجرد مغادرة المجاهدين من مركز الإيواء، تعمل النساء على محو كل أثر لمرورهم بالمكان تفاديا من اكتشاف أمرهم، ولم يزد ذلك إلا إصرارا، بل وازداد عدد الملتحقات بالثورة في الولاية الثالثة، حتى نجد أن هناك تباهي بين

النساء المسبلات وحتى أصحاب البيوت لإيواء المجاهدين عند نزولهم، وخاصة عند نزول القادة الكبار أمثال عميروش: إذ تقول تكليت: "سمعنا أن عميروش اجتمع بأهالي تملاحث القرية المجاورة، وكانت نسوتن في سباق لأجل تحضير الطعام واللباس والمأوي لمراقبيه، فأنسفننا داخلها وقلت في قرارة نفسي، لو نزل هنا عميروش لكانت الفرحة عمت قريتنا اليوم، ونخدمهم بدون ملل ولا تعب"<sup>8</sup>. كما أكلت المسبلات أدوار أخرى لنقل السلاح والحفاظ عليه إذ تقول تكليت "ترك زوجي حزمة من البارود فلما سمعنا بقدم الجيش، حباؤها تحت فرث البقرة"<sup>9</sup> واهتمت بجمع التبرعات ونقل أخبار عن تحركات العدو والاتصالات و نقل البريد، والتموين وتقديم العلاج إضافة إلى الإيواء<sup>10</sup>.

وإن كانت هذه إلا بعض من الأعمال التي تسهر نسوة الولاية الثالثة في تقديمها فإن شهادة جودي أتومي تضعنا داخل أحداث الثورة، فمن خلال مذكراته حول العقيد عميروش الذي إطلعنا عن حقائق ومعلومات تاريخية تحتاج إلى التمحيص والبحث في أسبابها، وفي بعض الأحيان في نتائجها، إذ امتدت شهادته في جزأين الجزء الأول عنوانه "العقيد عميروش بين الأسطورة و التاريخ" المسيرة الطويلة لأسد الصومام، شهادة أصلية لضابط في جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة (القبائل) 1956-1962. وهي في 245 صفحة، حاملة لثمانية وعشرون فصلا مع مقدمة وخاتمة، أما الجزء الثاني فعنوانه "العقيد عميروش أمام مفترق الطرق" مجزأ إلى واحد وثلاثون فصلا مع مقدمة وخاتمة ويحمل الكتاب 391 صفحة.

وإن كان الكتابين يرويان مسيرة الرجل، طفولته، نضاله في الحركة الوطنية، انضمامه للثورة، قيادته للولاية الثالثة، ... والكثير من الأحداث حوله، إلا أن ما يهمننا فيه هو كيف أسدى الضابط أتومي شهادته حول المرأة، وكيف كانت نظرة العقيد عميروش لها سواء في البيت أو الجبل، وسنختصر في دراسة الجزء الأول من هذه المذكرات التي ترى أن:

#### 1- المرأة تحلمت عبي الثورة :

أ- المرأة ضحية القنبلة: لقد تحملت المرأة في الولاية الثالثة عبي الثورة خاصة بعد اتخاذ الإدارة الفرنسية كل التدابير العسكرية التعسفية للقضاء عليها في بدايتها، محاولة أن تفصل الشعب الجزائري عن الثورة والالتحام بالمجاهدين، فاستخدمت لذلك أشنع الوسائل القمعية، كانت المرأة ضحيتها، ففي نهاية أبريل 1956 أطلق الجنرال ديفور<sup>11</sup> عملية تطهير واسعة وضخمة، بلغت ذروتها في صيف تلك السنة، تركزت جهودها على المنطقة المحصورة من بجاية شمالا إلى بني منصور وجنوب سطيف، وكان الهدف منها هو إخلاءها من عناصر جيش التحرير الوطني، لتحضير الأجواء المناسبة لإجراء انتخابات سنة 1956<sup>12</sup>. لتتوالى المؤامرات الفرنسية في ضرب الثورة و تكوين جبهة مقاومة لجيش التحرير الوطني، عرفت عند الفرنسيون "بالقضية الهامة" أما في أوساط الثورة فسميت "بالعصفور الأزرق"<sup>13</sup>، أطلقتها الحاكم العام للجزائر آنذاك "جاك سوستال" ولم يتم الشروع فيها إلا في عهد "روبرت لاكوست" الذي وصل إلى الحكم في 1956، واختيرت المنطقة لتنفيذ العملية<sup>14</sup> فيها. وللعلم فإن العملية كانت تسير بسرية تامة من الجانب الفرنسي كذلك إلى درجة أن الضباط الذين كانوا بالمنطقة لم يسمعو بهذه العملية، وليبرهنوا ولائهم لفرنسا قاموا ببعض العمليات التي كانت تبدو على أنها ضد المجاهدين، ولكن في حقيقة الأمر كانت ضد الخونة، تم الكشف علنية عنها في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956<sup>15</sup>.

جرت في 6 ماي 1957 معركة في جبل اواقوران المسماة "بمعركة إيزروال"<sup>16</sup>، حيث حاول الجيش الفرنسي اقتحام ذلك المكان (إيزروال)، في عملية تمشيط للبحث عن أماكن وجود المجاهدين فقامت بمحاصرته وغلق جميع المنافذ، حيث بدأ الجنود الفرنسيون التقدم من السفوح السفلى إلى أعالي الجبال، ولكن التمويع الجيد للمجاهدين وتحصنهم بالمكان المسمى "ازرو انغاط" (صخرة العنزة)، وتسليحهم بسلاح أوتوماتيكي من صنع انكليزي، سمح لهم بالنيل من العدو<sup>17</sup>، مما دفع بالسلطات بتعزيز قواتها العسكرية، أسفر على إخلاء المنطقة من سكانها وتهجيرهم من قراهم إلى محتشدات<sup>18</sup> وبالأخص نذكر قرية اغزر

إواقورن، آث علي وثيم، و إلبارن، التي تم تهديمها كلية، واعتبرت القرى مناطق محرمة، بعد أن تيقن الجيش الفرنسي أن السكان وعلى رأسه النساء هن السند القوي للمجاهدين. فقد ذكر جودي اتومي في كتابه Chroniques Des Années De Guerre En Willaya III انه كان متواجدا في 19 جويلية من سنة 1961 في الناحية الثانية ووجد عرش اواقوارن خالي بشكل تام وأعلن منطقة محرمة، بل "ويطلق النار على كل ما يتحرك وكان القصف يومي"<sup>19</sup>.

لتزداد معاناة الولاية الثالثة واستنزاف كل قواها مع "عملية المنظار"، و قد ذكر الكاتب يقول "... كان رد فعل العدو فوريا، دفع بطائرات ب26- و ب29 الأمريكية، التي راحت تلقي قنابلها ذات الخمسة قناطر، ليس فوق الغابات والجبال فحسب، بل وحتى فوق القرى الأهلة بالمئات من السكان<sup>20</sup>... فبذلك كانت المرأة الأكثر تضجرا من قنبلة هذا السكان، وهذا لطبيعة المجتمع القبائلي المحافظ في أن يكون البيت موقع تواجد المرأة مع أبنائها.

تندرج العملية ضمن مخطط شال<sup>21</sup>، الذي علق عليه أمال كبيرة للقضاء على الثورة في منطقة القبائل، والتي كانت المجال الجغرافي لها من محور جيغل ودلس شمالا حتى البويرة وجنوب سطيف وقد قادها هذا الجنرال بنفسه، فجرت العملية على المراحل الآتية:

- 1- نقل الجنود المظليين إلى جبال اكفادو شرق عزازقة.
- 2- نقل الجنود المشاة إلى شواطئ بجاية ليكونوا على أهبة الاستعداد.
- 3- الاستعانة بالجنود المدربين على القتال في الجبال و اخذ مواقعهم عند المصببات والمضايق الجبلية.
- 4- وضع القناصة على المرتفعات وتنصيب المدافع على القمم الاستراتيجية.
- 5- نشر عدد هائل من الدبابات والسيارات المصفحة على الطرقات الرئيسية لمنع ومحاصرة المجاهدين في المنطقة<sup>22</sup>، مع نشر المشاة حول القرى والمدامر لمنع السكان من الدخول و الخروج.
- 6- تفتيش كل المنازل والأكواخ لعزل المجاهدين عن السكان ومراقبة المناطق ليلا ونهارا، بالاستعانة بالمناظر المقدمة لكل جندي ومنه أخذت العملية التسمية.

ب- المرأة و الأخلاق

لقد تناول الكاتب حقائق مؤلمة حول بعض القرى في وادي الصومام، التي تفتشت فيها الرذيلة والإباحية وهو الشيء الذي واجهه عميروش بقوة، إلى أن وصلت عقوبته بالإعدام، كما كان شديدا لا يتسامح في مسألة الأخلاق، عندما يعلن عن وقوع جريمة زنا مثلا أو مجرد شبه ينزل فوراً على المتهم حكما بالإعدام، كما شنت حملة تهذيب على مستوى جميع القرى، إلا أنها لم تتراجع عن فعلتها، إذ يضيف "لم يطرأ أي تغيير على سلوك هؤلاء، كما لو أن هذه التعليمات لا تعنيهم، بل وصلنا أن بعض النساء حاولن أن يعرین المجاهدين وفشلن طبعا".

وتصل النساء اللواتي يمارسن الزنا في هذه المنطقة من خارجها، وقد داهم هذا الأمر الثورة في الولاية الثالثة، مما جعل عميروش يأخذ الأمر بقبضة حديد، إذ في إحدى خرجاته التفقدية في ربيع 1956، صادف في طريقه أربع من تلك الغواني، فأمر هو بنفسه بإعدامهن دون أي محاكمة<sup>23</sup>.

## ج- المرأة والاعتصاب

لقد كانت المرأة ضحية اغتصاب من قبل الجنود الفرنسيين كلما قاموا بتمشيط للقرى والمداشر للبحث عن المجاهدين، فلا يجدون سبيلهم إلا النساء العزل لاغتصابهن والتنكيل بهن، إذ لم تكفيهم مجاز شهر جوان 1957 في ملوزة، وشهر فبراير 1957 باقحان التي راح ضحيتها 200 قتيل، ومجزرة تيزة 40 ضحية، ليزيد للمرأة معاناة في شرفها<sup>24</sup>

## 2- دور المرأة في الثورة

## أ- المرأة و التمريض (عائشة)

لقد تطرق الضابط أجودي في إطار حديثه عن شخصية الطاهر عميروشن، الصديق المحبوب لعميروش، أن كان لديه صديقة في الجبل، وهي ممرضة تسمى عائشة، والكل كان علي علم بصداقتهما التي أرحأها الضابط إلى محاولة بناء حياة مشتركة ما بعد الحرب، مما يدل على دور المرأة لأن تكون صديقة الرجل في السراء والضراء، كما لا يخفي دورها كممرضة في الجبل إلى جانب أخيها الرجل، إذ تساعد الجرحى وتضمّد لهم الجراح..

إلا أن ما كبته الممرضة في الولاية الثالثة أكثر بكثير، إذ و بإيعاز من جبهة التحرير التي قررت إفراغ الجبال من العنصر النسوي، وبقرار من العقيد عميروش تم إرسال فريق من الممرضات في مهمة إلى تونس في خريف 1957، وبخصوص هذا، يقول المؤرخ يحي بوعزيز: "...أخذ الجنود يشيعون قائلين: الفتيات الجميلات للمسؤولين ونحن عندما نتصل بأية امرأة في أية قرية يحكم علينا بالإعدام. وأثيرت مشكلة وجود النساء بالجبال خاصة بعد أن اعتدى بعض الجنود على شرف البعض منهن، وحملن، وطلبن رخصة الإجهاض طبيا وكثر القيل والقال. وبسبب هذا الجو المسموم قرر مجلس الولاية في جلسة 22 أكتوبر 1957، إرسال كل النساء الموجودات بالجبل إلى تونس..."<sup>25</sup>. إلا أن المهمة لم تكتمل بسبب الجيش الفرنسي الذي قطع لها الطريق، وتم اعتقال بعض الممرضات، و قتل البعض الآخر في عملية تمشيط بـرج بوعريـرج في 26 نوفمبر 1957، وكانت الممرضة عائشة من ضمن السجينات<sup>26</sup>، إضافة إلى أسيرات أخري كدانيال مين، ونفيسة حمود والبعض الأخر سقط تحت رصاص العدو كـريـموند بيشار المدعوة طـاوس..

لقد تطرق جودي اتومي في نشاط المسؤولين السياسيين على دور المرأة في الثورة، خاصة في تنظيمها المحكم إذا تخلف الرجل في القرية، حيث تقوم بتأدية دور المسبلة، المتمثل أساسا في الحراسة وحفظ الأمن في القرية، وجمع الأموال، وتوزيع المعونات على المحتاجين، وضمان التموين الغذائي لجيش التحرير<sup>27</sup>.

## ب- المرأة و استعراضات جيش التحرير الوطني:

لقد اعتاد العقيد عميروش في قيادته للولاية الثالثة، أن يقوم باستعراضات لوحات جيشه، وذلك بالقيام بزيارة لعدد من القرى، وهذا لرفع وشحن العزائم في السكان، كما يحمل الاستعراض أغراضا دعائية، وعند مرور الوحدات بين أوساط أهالي القرى، يزداد الإعجاب والفخر، وتزيده النساء إجمارا وجمالا بزغاريدهن ودعواتهن، بل وتخلو البيوت كلها، كما يقول الضابط اتومي "عند ما يمر الجنود عبر القرى في شكل رتل متتابع، تخلو كل البيوت من أهلها فيخرجون ليتابعوا هذا الاستعراض المدهش، النساء يظنن مفتونات بهؤلاء الأبطال والشيوخ لا يكفن عن الدعاء لهم بالخير والنصر"<sup>28</sup>

لاحظ المجاهد جودي اتومي مدى سعادة النساء بتحضيرهن لوجبات المجاهدين، ويسعدن أكثر برؤية المجاهدين يستسيغون طعامهن فيقول: "إن تحضير الطعام للمجاهدين تعتبره النساء شرفا لهن. فكلهن يولين عناية كبيرة بذلك. كما أنهن يسعدن برؤية المجاهدين وهم راضون عن الطعام". بل تكون فرصة للأخريات لإطلاق حسهن الشعري، ويتسارعن في تنظيم الأبيات الشعرية مرحبات معترزات بالمجاهدين:

لعللما سيمجوهاذ	مرحبا بالمجاهدين
إيدوسان لوهي لعيشا	القادمين قبل حلول الليل
ذقرال رافيجين	في النهار لجأوا إلينا
نكخي نقدش إيشمغرا	نحن نحضر للعرس
مي ولي واس أذروحن	إذا طلع النهار رحلوا
يترو وول ثجرح ثاسا <sup>29</sup>	بيكي القلب ويدمي الكبد

ج- المرأة و زوجها الحركي "حالة جلال رمضان من بني وغليس":

كثيرا ما تتأذى المرأة من أفعال زوجها، خاصة إذا كانت من الأخطاء الكبرى كخيانة الوطن، وذلك بعدما كان جلال رمضان مجاهدا في صفوف الثورة، إلا أن أخلاقه السيئة سمحت له أن ينحرف إلى الرذيلة ويلتحق بالاستعمار الفرنسي، ويرتكب أبشع الجرائم، من قتل، وتعذيب، واغتصاب، ولما استفاق أراد التوبة، قصد العقيد عميروش في الأمر، إلا أن الاستفاقة تحمل أمرا من السلطات الفرنسية للقضاء على العقيد، ولما وصل هناك، اعترف لعميروش بمهمته التي كلفه إياه النقيب "ليجيه" بقتل قائد الولاية الثالثة،<sup>30</sup> إلا أن اعترافه وشجاعته لم ترحه من حكم الثورة عليه الذي كان الإعدام، فرغم شجاعته إلا أن أفسده الطمع، و هو ما كان لزوجته التي تكبلت أثار زوجها، إذ بعد الحرب سعت للحصول على شهادة "أرملة شهيد حرب التحرير" فلم يكن لها ما تريد، فيقول جودي اتومي فيها "فبقيت بلا أبناء ولا زوج ولا منحة، ولا تاريخ مجيد، الذين قدر لهم البقاء على قيد الحياة ستسكنهم إلى الأبد صور ضحاياهم و الناس الذين عذبوهم واغتصابهم وأفتكوا بهم، وحتى أبناء هؤلاء... سيحملون في نفوسهم وضمائرهم وإن لم يكن الذنب ذنبهم أثار الجرائم التي ارتكبها آباؤهم"<sup>31</sup>.

د- المرأة ومؤامرة الزرق:

كانت الولاية الثالثة نموذجا في التنظيم، ومثالا يحتذى به في الثورة التحريرية، سواء في فعاليتها وقدرتها في مواكبة التغيرات، أو في تنظيمها و درجة الانضباط الذي يتحلى به رجالها، وهو الشيء الذي أعاق الاستعمار الفرنسي وهو الذي يقول دوما، "إذا أخضعت منطقة القبائل فتمت السيطرة على الجزائر كلها"، فراح العدو يضرب استقرار بدسائسه ومؤامراته، منها مؤامرة الزرق التي كانت المرأة وراءها، وهذه الأخيرة كانت تدعى "روزة"، قدمت من العاصمة لتطلب التجنيد في صفوف الجيش التحرير، فشك فيها النقيب احمد محيوز، فوضعت رهن الاعتقال، وتم الشروع في استجوابها لتعترف بأنها كلفت من طرف النقيب "ليجيه"، مسؤول مكتب الاستعلامات والاتصالات للولاية الثالثة<sup>32</sup>، ومن هنا كانت البداية في الشروع في حملة ضد الزرق.

ه- النقيب غرازياني وتعذيب النساء:

لقد ذكر جودي اتومي في حديثه عن الولاية الرابعة، وعن المعركة التي حدثت في أيت يحي موسى في 6 جانفي 1958 بين كتبتين إحداها من الولاية الثالثة والأخرى من الولاية الرابعة، التي أسفرت بمقتل 22 مظلوما فرنسيا، من بينهم النقيب غرازياني والذي عرف بدوره الخطير في معركة الجزائر، ولاسيما في تعذيب الفدائيين، كما مرت بين يديه العديد من النساء أمثال جميلة بوعزة، جميلة بوباشا، واغيل احريز لويزة، وأخريات<sup>33</sup>...

و- أسيرات الثورة:

لقد لعبت قضية أسرى الثورة الجزائرية دورا كبيرا في إسماع صوتها ووصولها إلى منابر الأمم المتحدة، فكانت قضية اختطاف عائلة سيزارو الإيطالية بالناحية الثانية (مشدالة) للولاية الثالثة دورا إيجابيا أدى بإيطاليا أن تعترف بالجزائر وبمفوضيها.

وصلت هذه العائلة إلى الجزائر، واستقرت في حسين داي، قبل شرائهم للملكية في منطقة الهاشمية بالبويرة في أكتوبر 1955، ليبدأ الإخوة الثلاثة تسييرها، فتمكنوا من شراء جرار وشاحنة وحاصدين من مالكةها ماركو Marcco القاطن قرب قرية لا بارك la barque على بعد عشر كيلومترات من عين بسام، في يوم 28 فيفري 1959، بقيمة 10 ملايين فرنك. وبينما كانوا على طاولة العشاء دخل المجاهدون إلى المزرعة، بعد أن أخذوا أسلحة العائلة من الغرفة التي خصصوها لذلك، كان رأس العملية مجموعة من الكتيبة 322 لجيش التحرير الوطني، الذين اتجهوا إلى الجهة الجنوبية لجرجرة، مايو- تازمالت في منتصف أسبوع أبريل 1959 حسب جريدة Dépêche d'Alger، وفي نفس الناحية وفي الوقت ذاته، وقع كمين قتل فيه 9 من رجال الأمن في المركز العسكري القريب من المنزل بالهاشمية، وقد صادف العملية ظهور مجموعة من النساء بلباس أوروبي، وهن في الحقيقة، مسبلات الولاية الثالثة اللواتي كلفن بإيصال أفراد العائلة إلى مايو (مشدالة)<sup>34</sup>. ويبدو أن التمويه باللباس الأوروبي قد نجح، بدليل أن القوات الجوية قد شاهدت هذه المجموعة عدة مرات دون أن تحاول توقيفها. وتم في هذه العملية، خطف كل من الرجال الثلاثة سيزارو انتوان، Antoine Cesaro وجوزيف Joseph، وبول Paul، وزوجتين و 5 أطفال تتراوح أعمارهم ما بين الثالثة واثني عشر عاما، في ليلة السبت إلى الأحد، إلى أن يكتشف أمر الاختطاف من قبل خادم العائلة صبيحة الغد، بعد أن كسر باب المدخل ليكتشف فقدان الكثير من المواشي. كان مسار عملية الاختطاف بين ولايتين حدوديتين هما الولاية الرابعة والولاية الثالثة ومن المحتمل أن المجاهدين أخذوا الرهائن إلى الغابات المجاورة<sup>35</sup>.

وأثناء عملية البحث التي شنتها القوات الفرنسية تم القضاء على 4 مجاهدين، وساد الاعتقاد أنهم متجهين إلى جبال البيان<sup>36</sup>، ونقلت جريدة L'écho d'Alger يوم 12 مارس، "أن المرأتين والأطفال الخمسة كانوا على قيد الحياة محاطين بالخاطفين، بقيادة عميروش وقد شوهدوا بعين الحمام"، و قدرت القوات الفرنسية المتواجدة بجبال جرجرة للبحث عن العائلة حوالي 3000 رجل، وفي ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء حدث اشتباك في بلدة مايو، وقامت القوات الفرنسية بتفتيش كل الغارات المتواجدة في المنطقة، وصرح الجنرال المسؤول عن هذه الناحية دوميسون روج Demison-rouge "بأن عملية التفتيش في منطقة مشدالة تسير على أحسن وجه" وبعد عدة أيام تم إطلاق سراح المرأتان، والأطفال الخمسة من طرف المجاهدين، لتعثر عليهم الفرقة 27 للجيش الفرنسي يوم الثلاثاء في سفوح جبال الصومام، على بعد 40 كلم غرب مدينة بجاية قرب سيدي عيش.

وبعد استجواب المرأتين من قبل الصحافة، فصرحتا على ان المجاهدين عزلوا الرجال عن النساء مدة الخطف، وبعدها عزل أخاهم عنهم منذ 2 مارس 1959، وبعدها ينقل إلى سيدي عيش مباشرة لتلقي العلاج عند الصليب الأحمر<sup>37</sup>. بينما الرجال الثلاثة انتوان، وبول، وجوزيف، فقد أطلق سراحهم بعد ثلاثة أشهر بعدما صوتت إيطاليا لصالح القضية الجزائرية في الأمم المتحدة. وفي نفس السنة جرت معركة معركة ثالة رانة في الناحية الثانية غير بعيد من عين بسام التي تمت فيها عملية الخطف.

اعتمد جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة هذا النهج، ومحاولة الحفاظ على حياة أسراهم، ليلعبوا الدور الإيجابي بعد إطلاق سراحهم، بالتعريف بالمجاهدين وجيش التحرير على أنهم ليسوا قطاع طرق وإنما هم أصحاب حق، فقد كانت مغامرة السيدة "أنجليس" وزوجها إحدى هؤلاء الأسرى أو بالأحرى فرناند أنجليس، التي كانت أسيرة عند المجاهدين في 8 نوفمبر 1958، عوملت بمعاملة حسنة، كما أجزت لقاءين مع العقيد عميروش، و تم إطلاق سراحها في 30 ديسمبر من نفس السنة قرب تيزي زو، وهذا بقرار من عميروش لتحضر أعياد نهاية السنة مع زوجها، ولما تم استجوابها من قبل الجيش، صرحت بأنها لم

تشك في أي لحظة من شيء طالما أنها كانت طيلة إقامتها محاطة بالرعاية اللازمة ، أوكلت لمجموعة من النساء و بينهن حظيت بكل العناية و الاحترام وروت أنهن يكن معها، ومنح لها حق استعمال جهاز الراديو يشتغل بالبطاريات للترويح عن نفسها ولم يتم تفتيشها يوما على خلاف باقي الأسرى<sup>38</sup>، وهو دليل آخر يضاف إلى سجل عميروش في تعاملاته وروحته الإنسانية وكرمه، الذي استغله لخدمة القضية الوطنية، وهي الصفات التي يجحفها العدو في حقه.

كما أن عادة ما تتعرض المسبلات للعنف والتعذيب، بسبب جعل بيوتهن مراكز عبور يلجأ إليها الثوار من مختلف نواحي الولاية، لأخذ الاستراحة واسترجاع الأنفاس قبل مواصلة طريقهم، خاصة عند تلقي قوات العدو معلومات عن وجود مجاهدين بذلك المكان، ولدى تنقلهم الفوري والمفاجئ لا يجدون أثرا للثوار، لأن النساء المسؤولات على المركز، تقومون بمحو كل أثر يدل على وجودهم قبل ذلك، بل وأحيانا تتعرض عائلتهن من زوج وأبناء للتصفية، أمام مرئ أعينها، ومع ذلك تبقى كاتمة للسر، وهو ما حدث لتكليت تودرت التي اعتقلت ووضعت تحت التعذيب والاستنطاق لأجل إفشاء سر زوجها الذي كان رئيس نظام القرية، والمجاهدين الذين يلتحقون ببيته، إلا أن صمودها فاق التصورات، إذا بعد فشل عملية الاستنطاق بالماء والصابون والكهرباء، حولت إلى سجن العجبية تحت حر شمس أوت حافية القدمين خاضعة للأعمال الشاقة، من رفع أكمام من الأحجار لتعبيد الطريق، ولما رفضت ذلك ، تم تسريح الكلاب المريية عليها في ساحة السجن، وتحت درجة حرارة عالية لتترك تلك الكلاب عضاتها على جسد تكليت التي أبت في كل ذلك أن تفشي أسرار المجاهدين والثوار.

كما شاركت المسبلة القبائلية في الاستعلامات للاستطلاع على تموقع الجيش الفرنسي والحصول على المعلومات من المواطنين بشأن تحركات العدو كما حرصت أيضا المسبلة في جميع التبرعات.

ي- الشعر الثوري: لم تجد النساء إلا في اللسان وتنظيم الشعر لرفع الهم والأحاسيس، بترتيل عليهم أبيات من الشعر شاكرات المجاهدين ومداحات لهم مع إبراز شجاعتهن وبطولاتهم، مع الدعاء لهم بالانتصار كما انتصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الكفار في غزوة أحد.

كما كان الشعر عند النساء وسيلة لإبراز حسرتهن عند فقدان أحد أبطالها فكان الرثاء حال السيدة معزوزي التي رثت عميروش في موته، والذي كان رهيبا عليها وعلى كل من سمع بالخبر قائلة :

عميروش شعبك ييكك

أخو تاتي أجروا .. أرواحو تسمعوا

على طريق بوسعادة

بانوا رجال بالغين تقطعوا

قتلوا عميروش راسينا العزيز

شعبك اللي يجبك حتى الآخرة

المجاهدين السبوعة يردوا تارك

نعاهدك باللي نكمل في المسيرة<sup>39</sup>

لقد حمل هذا الكتاب حقائق مثيرة حول حياة عميروش وحول تعاملاته وقراراته حول المرأة، وكيف كانت أيضا المرأة مصدر مساومة وغدر في حق الأخر، و كم كانت المرأة في الولاية الثالثة، تلك الشجاعة والمقدامة للعطاء والمساهمة إلى جانب الرجل في مهامها كمسبلة أو ممرضة حتى سجنحت كحال عائشة أو تعذب أو تنكل وتقتل كحال بار فاطمة وأخريات.



وفي الأخير نقول أن مشاركة المرأة الجزائرية بالولاية الثالثة في ثورة التحرير، كان جد فعال كما تطوعت في صفوف جيش التحرير الوطني كجنديّة، وممرضة تضمد جراح وتعالج وتدافع عن مرضاها إلى آخر دقيقة من حياتها كمليكّة قايد<sup>40</sup>، ومسبلة تأوي وتطعم وتنظف وفدائية، دفعت بزوجها وابنها وأخيها إلى ميدان القتال حرصا على نيل الشهادة، أو أنها دفعت الثمن بأنّها تيّمت بفقدان الأب، وترملت بفقدان الزوج، وعذبت وسجنت واستشهدت<sup>41</sup>، ولم تفشل في هدفها إلى أن تحررت الجزائر نهائيا من قبضة المستعمر الفرنسي في صائفة 1962.

الهوامش:

<sup>1</sup> - Djamila Amranne, Les femme Algériennes dans la guerre, Préface de Pierre Vidal Naquet, Ed Plon, 1991, pp115-118 .

<sup>2</sup> - علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1946-1962 دار القصة للنشر، 1999، ص 28

<sup>3</sup> - Danielle Djamila Amrane Minne, La guerre d'Algérie 1954-1962 femme au combat, Préface André Mandouze, Ed Rhma 1993, p123

<sup>4</sup> - AZZI, Abdelmadjid, parcours d'un combattant de l'ALN, WILAYA III, Préface DE Kamel BOUCHAMA. Editions Mille-feuilles, Alger, 2010, p 36.

<sup>5</sup> - تكلّيت تودرت، من موليد 1937 بمشداله، مجاهدة، ولما اكتشف الاستعمار أمر زوجها، قاموا بتدمير بيت العائلة، قيدها واعتقالوها بسجن عجيبة، أيد أجبرت بتأدية أعمال شاقة، شهادة أدليت لنا بها، في مقر قريتها بلبارة، أوت 2010.

-6 - Danielle Djamila Amrane, op cit , p.124

<sup>7</sup> - Idem, pp. 119-120

<sup>8</sup> - HARBI, Mohammed et MEYNIER, Gilbert, Le FLN. Documents et Histoire 1954-1962, CASBAH Editions, 2004, p.51.

<sup>9</sup> - تودرت تكلّيت، شهادة شفوية، جويلية 2010.

10 - نفسها

11 - جودي أتومي، العقيد عميروش بين الأسطورة و التاريخ، المسيرة الطويلة لأسد الصومام، شهادة أصلية لضابط في جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة (القبائل) 1956-1962، مطبوعات ريمة، سيدي عيش، 2008، ص 135.

12 - ATTOUMI, Djoudi: Chroniques des années de guerre en wilaya III. (Kabylie) 1956-1962. Crimes sans chatiments. Presse de Mitidja impression. 2009 T.1. 385. p p.13.

13 - Djoudi Attoumi, op.cit. .p 31.

14 - يحي بوعزيز، الثورة في الولاية أول نوفمبر 1954-19 مارس 1962، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2004، ص. 208.

15 - وتمثل هذه العملية في تسليح الشباب الذين يقفون إلى جانب فرنسا، وتشكيل أفواج تقاتل المجاهدين وتعمل على القضاء على زعماء الثورة، ولقد بدأت الاتصالات بين قادة الجيش الفرنسي و بعض عملاءها في القبائل، و هم أوامر الذي أكد إخلاصه لفرنسا الذي اتصل بالطاهر عشيش و زيدان م، من اجل التفاهم و خلق الأوضاع احمد، المشهور بأحمد أوزيد، وهو مناضل قديم في حزب الشعب الجزائري، و وطني مخلص سقط شهيدا عام 1958 اللازمة لبدأ العملية، التي ستقدم فيها فرنسا أسلحة لأشخاص من أهل الثقة والشجاعة، وهؤلاء يكونون أفواج تظم 25 رجلا على حسب تنظيم الجيش، وهم بدورهم اتصلوا بمحمد اعزوران الذي اشتهر باسم ببروش، (ولد يوم 18 مارس 1912م، بقرية اعجماض بولاية تيزي وزو في 1942، انضم إلى تقلد عدة مناصب إلى أن وصل إلى رتبة عقيد سنة 1958 وتوفي في يوم 5 جانفي 1988)، سلك الحركة الوطنية، وكان من المفجرين الأوائل للثورة، وتفاهم توصل إلى أنهم سيعملون لإنجاح هذا المشروع و لكن بجذر شديد و سرية وسعيد مهلال الذين قاموا بإعلام كريم بلقاسم، و بعد مشاورات تامة، و قد تمت الموافقة لأن المناضلين المبعوثين في هذه المهمة أوفياء للثورة الجزائرية و جندوا فيها 1200 مناضلا، وتم تسليحهم ببنادق حربية وحتى رشاشات وذخيرة وخرطيش وهذا سيدعم المجاهدين ماديا ومعنويا..

16 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 208

17 - هي المنطقة الواقعة بين قرية اوكورن وابلبارن وهو المكان المسمى ازرو انتاغاط. انظر كتاب: حمداش بوكريف، 2370 يوم في قلب اللهب، من مذكرات سي دلس عبد الله، مطبوعة بلقصة، البويرة، 2007، ص ص. 51-52.

18 - حمداش بوكريف، المرجع السابق، ص 50.

<sup>19</sup> – Denise Barrat, Algérie 1956, Livre Blanc sur la Répression en Algérie, Edition de L'Aube, 2001, p.

32.

<sup>20</sup> – Djoudi Attoumi , Op.cit., p. 57.

21- جودي أتومي، المصدر السابق، ص 33.

<sup>22</sup> – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 222.

23 – نفسه، ص ص. 226-227.

24-. نفسه، ص 40.

25- جودي أتومي، المصدر السابق، ص 45.

26 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. الثورة في الولاية الثالثة. طبعة خاصة. وزارة المجاهدين. الجزائر 2009. ص.287،

27 جودي أتومي، المصدر السابق، ص 103.

28 نفسه، ص 108.

29- نفسه، ص 135.

30- LASHEB, Ramdane : ccna n tilawin n lgirra (1954-1962). Tazwart syur: SAID CHEMAKH. Asqamu Unnig Timmuzya. 2008. p.43.

31- جودي أتومي، المصدر السابق، ص 187.

32- نفسه، ص 188.

33- نفسه، ص 190.

34 نفسه، ص 224-225. وأنظر أيضا:

– Marcel Thiebault, " Une Famille Des Paysans Italiens", Journal le Monde, N°4397, Seizièmes Année, 3 Mars 1959, p.3.

<sup>35</sup> – Marcel Thiebault, " 10 Européens Dont 5 Enfants Sont Enlevé Dans Une Ferme Proche De Ain-Bassam ", Journal Le Monde, N°4388, Seizième Année , 13 Mars 1959, P 4.

<sup>36</sup> – Marcel Thiebault, " Sans Nouvelles De La Famille Cesaro", Journal Le Monde, N°4389, Seizième Année, 4 Mars 1959, p. 4 .

<sup>37</sup>– Marcel Thiebault, « Sept Membre De La Famille Cesaro . Les Femmes Et Les Enfants Retrouver Saints Et Saufs », Journal Le Monde, N°4397, Seizièmes Année, 13 Mars 1959, p.3.

38 – جودي أتومي، المصدر السابق، ص 269 . أنظر أيضا:

- Marcel Thiebault, « Sept Membre De La Famille Cesaro... », op.cit., p.3

39- شهادة تكليت تودرت

40 – جودي أتومي، المصدر السابق، ص 315.

41- Messaouda Yahiaoui, avec collaboration de Dr Ibrahim Abes , Abdekkader Karli, Le role de la femme algérienne dans la révolution 1954 -1962, publication de CERMNR de 1 novembre 1954 Homa, 2007, P71

42 – محمد الشريف بن عباس نحات من الكفاح المرأة الجزائرية أعمال الملتقى ، كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني، حول كفاح المرأة الجزائرية ، طبعة ثانية مزيّدة و منقحة منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية و ثورة 1 نوفمبر 1954، دار هومة، 2007، ص. 21.

1954 Homa, 2007